



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِيْنَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

ملحق

العدد الرابع والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

رَجَب - ١٤٤٢ هـ / آذار ١١ / ٣ / ٢٠٢١ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

ملحق العدد: الرابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون رجب - ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثر	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/ فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د. أسماء سعود إدهام	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

- ١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .
- ٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .
- ٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- ٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
 - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف /١٦ /المتن: بحرف /١٤ /الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .
 - تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
 - يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .
- ٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
 - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
 - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
 - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٥٠ - ١	أبو عبد الله الحُمَيْدي وكتابه جَدْوَةُ الْمُقْتَبِسِ أ.د. حازم عبد الله خضر
٨٨ - ٥١	القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب م.م. طارق محمد امين عبدالله الامام و أ.د. ابراهيم محمد محمود الحمداني
١٠٦ - ٨٩	أثر عقدة النقص في شعر بشار بن برد أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفرى و أحمد عبد الوهاب حيو
١٢٤ - ١٠٧	الذاكرة في رواية أحفاد أورشناي لهيثم بهنام بردى م.د. جمان فيصل خليل و أ.د. فيصل غازي النعيبي
١٥٤ - ١٢٥	التصحیحات النحویة للعکبری في كتابه "التبيان في إعراب القرآن" أ.م.د. سعد محمد أحمد
٢٠٠ - ١٥٥	الصفات البشرية المعنوية السلبية في القرآن المجيد .دراسة دلالية . أ.م.د. صلاح الدين سليم محمد أحمد
٢٢٤ - ٢٠١	الغزل والغزل المكثى في شعر حميد بن ثور الهلالي أ.م.د. رافعة سعيد السراج و أ.م.د. إيمان خليفة حامد
٢٥٤ - ٢٤٥	العنوان ومقصدية الاختيار أ.م.د. غانم صالح سلطان و مشعل عايد دبي
٢٩٢ - ٢٥٥	الاقْتِرَاضُ اللُّغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ مَقَابِيسِ اللُّغَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ (ت ٣٩٥هـ) م.د. حَكِيمَ عَبْدِ النَّبِيِّ حَسَنَ إِبْرَاهِيمَ
٣١٢ - ٢٩٣	فاعليّة المتخيل العجائبي في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم م.د. محمد حميد بلال
٣٤٢ - ٣١٣	اللّسانيات العربيّة عند تمام حسان بين التّأصيل والحداثة . المستوى الصّوتي أنموذجاً . د. سميرة عبدالمالك و د.نادية شارف
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٣٦٨ - ٣٤٣	أوضاع التعليم الرسمي في كركوك ١٨٧٠-١٩١٤ أ.م.د. لمى عبد العزيز مصطفى
٣٩٦ - ٣٦٩	إسهامات المرأة في بناء الأربطة في مدينتي بغداد ومكّة المكرّمة في العهد العباسي المتأخر (٤٤٧ - ٦٥٦هـ / ١٠٥٥ - ١٢٥٨م) م.د. شهلة برهان عبدالله
٤١٦ - ٣٩٧	عساكر السكبان ودورهم في بلاد الشام ١٥٩٥-١٦٣٥م م.د. أحمد محمد نوري أحمد العالم
بحوث الفلسفة	
٤٥٢ - ٤١٧	نظرية المعرفة عند لايبنتز أ.م.د. زياد كمال مصطفى
٥٠٦ - ٤٥٣	الهيرمينوطيقا من التأويل إلى التحريف دراسة أصولية م.د. نور الدين جميل عبد القادر التاوطوزي

بحوث علم الاجتماع

٥٣٢ - ٥٠٧	الحكايات الشعبية ودورها في تنمية الطفل اجتماعيًا دراسة تحليلية للحكاية الشعبية الموصلية أ.م. نجلاء عادل حامد
٥٧٤ - ٥٣٣	تمثيل المرأة في الوظائف القيادية بين التحديات واليات التمكين ((دراسة ميدانية في مدينة الموصل)) م.م نور يحيى يوسف

بحوث المعلومات والمكتبات

٦١٤ - ٥٧٥	قواعد الفهرسة ومدى تأثرها بتطورات الضبط الببليوغرافي ومعايير المبتاداتا أ.م. رفل نزار عبد القادر الخيرو
-----------	--

بحوث علم النفس التربوي وطرائق التدريس

٦٦٠ - ٦١٥	أثر استخدام أسلوب تحليل النصّ في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلاميّة أ.م. خولة احمد محمد سعيد البريفكاني ونعم محمد باسل قاسم العزاوي
٦٨٦ - ٦٦١	أثر استراتيجيّة (Swom) في تحصيل طلبة الصفّ الرابع العِلْمِيّ في مادّة قَوَاعِدِ اللُّغَةِ العربيّة م.د.شهاب أحمد حنش
٧١٠ - ٦٨٧	الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة دهوك - قضاء عقرة م.م. وعد سعيد طه و م.م. شوّاف محمد مصطفى

بحوث الآثار والدراسات المسماوية

٧٢٨ - ٧١١	أسباب الأمراض وطرائق معالجتها عند المصريين القدماء دراسة مقارنة مع العراق القديم أ.د. عبد الرحمن يونس عبد الرحمن
-----------	---

بحوث الشريعة الإسلاميّة وأصول الفقه

٧٥٠ - ٧٢٩	أهداف الحوار عند اليهود مع الرسول (ﷺ) أ.م. د.ظفر عبد الرزاق ذنون و م.م. وعد الله صالح جاسم
٨٠٤ - ٧٥١	حكم التعامل بالعملات الإلكترونية وضوابطه الشرعية أ.م.د. محمود محمد علي الزمناكوي
٨٢٤ - ٨٠٥	الإبادة الجماعيّة من منظور القرآن الكريم والكتاب المقدّس م.د.نذير سعيد مصطفى و م.د.عبد الحق هنر عوني
٨٧٠ - ٨٢٥	آراء العلماء في التفرق المقصود في خيار المجلس وتطبيقاته الفقهية (دراسة مقارنة) م.د. جمال عزيز أمين

اللّسانيات العربيّة عند تمام حسن بين التّأصيل والحدّاث

— المستوى الصّوتي أنموذجاً —

د. سميرة عبدالمالك * د. نادية شارف *

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١٠/٣١

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/١٠/١٩

المستخلص:

اتفق العلماء على تقسيم اللّغة إلى مستويات تحليليّة، لأنّها تحتوي على جوانب شديدة التعقيد، تتطلّب أكثر من منهاج وأكثر من وسيلة لفكّ شفراتها وتحليل محتوياتها، فافتراضوا أنّها تقسم إلى مستويات يتمتع كلّ مستوى منها بخصائص عامّة، يمكن عن طريقها الوقوف على أسرار محتوى هذا المستوى، وهذه المستويات تعمل في تناسق وتكامل، ولا يكون فصل بعضها واستقلاله عن بعضه الآخر إلاّ ظاهرياً، لأنّ اللّغة كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته فجميع العناصر اللّغوية تتفاعل معاً وتتآزر في تحقيق مقاصد لغويّة، وأيّ تقسيم للّغة إلى مستويات ما هو إلاّ تقسيم منهجي، ولكلّ عنصر منها فرع من فروع علم اللّسان، وأشهر تقسيم عرفه اللّغويون هو أربعة مستويات والتي تشكل بناء اللّغة العام، وهذه المستويات هي: مستوى الأصوات، مستوى الصّرف، مستوى النّحو، ومستوى المفردات.

وبما أنّنا بصدد دراسة "تمام حسن" فقد تصوّر أنّ اللّغة العربيّة، تتكوّن من ثلاثة أنظمة: النّظام الصّوتي، النّظام الصّرفي، والنّظام النّحوي، ومنطلق "تمام حسن" هو أنّ كل دراسة لغويّة لا بدّ أن يكون موضوعها الأوّل والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التّعبير المختلفة.

* المركز الجامعي مغنية/ الجزائر .

* المركز الجامعي مغنية/ الجزائر .

وعليه فإنّنا سنحاول في هذه الدّراسة تتبّع منهج " تمام حسان " في دراسة القضايا اللّغوية وخاصة الصّوتية، وطريقة تحليله لها، وإنّ خدم هذا المنهج اللّغة العربيّة أم كانت له توجّهات وأبعاد أخرى.

ومن هنا جاءت فكرة البحث الموسوم: اللّسانيّات العربيّة عند تَمَام حَسَان بين التّأصيل والحدّاثَة، المستوى الصّوتيّ أنموذجاً. وذلك من أجل الإجابة عن الإشكالات الآتية:

- ١- ما منهج "تمام حسان" في دراسة القضايا الصوتية العربية ؟
 - ٢- ما موقفه من التّراث اللّغويّ العربيّ ؟
 - ٣- ما هي آراؤه في الدّرس الصّوتيّ و التي أضافها للتّراث العربيّ القديم ؟
- ونظراً لطبيعة الموضوع، فإنّه يقتضي اتّباع المنهج الوصفيّ التّحليليّ بغية تحقيق الأهداف السّالفة الذّكر.

الكلمات المفتاحيّة: اللّسانيّات - التّأصيل - الحدّاثَة - المستوى الصّوتيّ - تَمَام حَسَان.

المقدمة:

تجلّت الأبحاث اللّغوية العربيّة منذ القديم، وحتى الجهود اللّغوية الحديثة، انطلاقاً من تمركزها على عدة مرجعيّات، تعتمد كلّ منها على ثقافة أصحابها وكذا الغاية التي يسعى كلّ منهم إلى تحقيقها وإثباتها في حقل الدّراسات اللّغوية العربيّة.

فقد ظهر في هذا الصّدّد جماعات من الدارسين دعا بعضهم إلى ضرورة بعث الجهود اللّغوية القديمة، ومواصلة ما بدأه سيبويه وقرناؤه من علماء العربيّة القداماء، من أجل إثبات الهوية العربيّة لهذه الأبحاث. ونادى بعضهم الآخر إلى ضرورة التّفاعل مع المستجدات التي يشهدها العالم آنذاك، من أجل التّقدم في ميدان الدّراسات اللّغوية، و رأوا أنّه من الأجدر النّظر إلى اللّغة العربيّة وفق المناهج اللّسانيّة التي ظهرت في الغرب وحاولوا تطويع اللّغة العربيّة لهذه المناهج، بينما سعى آخرون إلى إعادة قراءة وتنظيم مقولات اللّغة العربيّة وفق هذه المناهج الغربيّة الحديثة مع الاحتفاظ بمقولات الدّراسات التّراثيّة.

ومن يتصفح الجهود العربيّة التي عُيّنت بالتّراث العربيّ، يلاحظ أحد اثنين: فإمّا ناقل لفكر غربيّ أو ناشر لفكر عربيّ قديم ومن أجل توخي العلميّة في تناول الجهود

اللغوية العربية، وتفادي الوقوع في أخطاء منهجية، ووجب تناول ما قدمه علماء العربية القدامى وفق سياقه ومحاولة إنزاله المنزلة التي يستحقها دون الانحياز له ولا انتقاده بغير علم من أجل الانتقاص من قيمته. ويتأتى ذلك من خلال تتبّع المراحل التي عرفتها الجهود اللغوية، وهذا التتبع التاريخي للنشاط اللغوي العربي هو من أجل البناء المنهجي للموضوع قيد الدراسة، فاسترجاع تاريخ الدراسات العربية التراثية لا يعني البتة العودة إلى الوراء، أو البكاء على الماضي و تمجيده والتعلّق به، كما أنّ هذا لا يعني إلقاء مشاكل الحاضر وهمومه على الماضي في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة، وإنّما يكون ذلك من أجل ربطه بالحاضر ومحاولة إيجاد "الحلقة المفقودة" في الفكر اللغوي العربي، وربط التراث بالحدثة ليكمل أحدهما الآخر مع التركيز على مميزات العقل العربي في كلتا الفترتين.

1- التفكير اللساني عند العرب:

اقتترنت نشأة العلوم اللغوية عند العرب بنزول القرآن الكريم، فقد كان هذا المستجد في البيئة العربية دافعا قويا للاهتمام به وإمعان النظر في طياته، لاسيما أنّه جاء جليلا من حيث فصاحة ألفاظه، ومتانة نظم عباراته، فكان معجزا في لفظه ونظمه، خاصة أنّه خطاب تحدى به الله عز وجلّ قوما أهمّ ما عُرف عنهم براعتهم اللغوية، وهذا ما جعل فريقا من العرب القدامى يبحثون في هذا الإعجاز وخصائص هذه المزية التي يُنعت بها الخطاب الرباني، ولعلّ ظهور رسائل تبحث في غريب القرآن خير دليل على ذلك.

فالمعروف أن منطلق الدراسات اللغوية العربية هو محاولة التخلّص من مشكلة "اللحن" عند قراءة الآيات القرآنية، فقد انبرى جماعة من العرب لوضع قواعد تقوّم أسنة العجم الذين انخرطوا في المجتمع العربي بعد انتشار الإسلام من خلال قدومهم إلى البلاد العربية قصد التقرب من مصدر الشريعة الإسلامية، فكانت لعاداتهم التطبيقية في لغاتهم الأصلية أثر عند تعلمهم اللغة العربية، لكنّ اللحن لم يقتصر على العجم فقط، بل مسّ أيضا العرب نتيجة اختلاط الألسنة، ويضاف إلى ذلك « الأثر المهم الذي خلفه الزواج بغير العربيات والذي يمكن اعتباره من أهم الأسباب الآيلة إلى الضعف اللغوي الطارئ والحاصل، بملاحظة الأجيال الجديدة التي نشأت في حجور أمهات فارسيات، أو روميات

أو حبشيّات، أو غير ذلك لن تتمكّن من إحراز الملكة اللّغويّة التي تمكّنها من نطق الفصحى دون خطأ» (١)

غير أنّنا نلمس إجماعاً عند اللّغويين بأنّ اللّحن ظهر في صدر الإسلام أو بعده بقليل، ودليل ذلك قول ابن فارس (ت ٣٧٥هـ): «فأمّا اللّحن بسكون الحاء فإمالة الكلام، عن جهته الصّحيحة في العربيّة. يُقال: لحن لحننا. وهذا عندنا من الكلام المولّد، لأنّ اللّحن مُحدّث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السّليمة.» (٢)

ومن ثمة ظهرت الجهود اللّغويّة الأولى؛ فقد أجمعت الدّراسات التي أرخت لنشأة الدّرس اللّغوي العربي أنّ أبا الأسود الدّؤلي (ت ٢٧هـ) ممّن له فضل السّيق في هذا المجال، فمن قال: «إنّ أبا الأسود وضع النّحو فقد كان يقصد شيئاً من هذا، وهو أنّه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعد من أراد أن يفهم النّحو على المعنى الدّقيق، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف والاسم إلى ظاهر، ومضمر، وغير ظاهر ولا مضمر، وباب التّعجب، وباب إن.» (٣)

والغاية التي من أجلها اهتم العرب بالنّظر في لغتهم ، والمتمثلة في معالجة الألسنة من اللحن عند قراءة القرآن الكريم ، وإن كانت بسيطة في ظاهرها إلا أنّها مهدت لقيام علوم لغويّة كثيرة أنتجتها القريحة العربيّة في القرون الأولى من الحضارة الإسلاميّة وجعلت من المسلمين أصحاب علم وفير أفادوا به الحضارات المحيطة بهم في زمانهم وحتى من جاؤوا في الأزمنة التي تلت زمانهم، وجعلت المحدثين حتى من غير العرب

١ - طلال علامة: نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط١٩٩٢م، ص: 19-21.

٢ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ٥٥، ١٩٧٩م مادة (لحن).

٣ - أحمد أمين،:ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج ٢، ٢٠١٢م، ص: ٦٠٨، ٦٠٩.

يعترفون أنه « إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحقّ له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، ويشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب..» (١)

٢. النظرية اللغوية عند تمام حسّان:

لا يمكننا بحال أن ننفي وجود عدد لا بأس به من المحاولات اللسانية العربية التي كانت لها نظرات فاحصة وقدمت إضافات للبحث اللساني العربي، بل إنّه ظهر منها من استطاع أصحابها أن يضعوا نظرية في اللسانيات بالاعتماد على معرفة واسعة بالتراث اللغوي العربي، وإمام بمستجدات البحث اللساني الغربي، فصنعوا لأنفسهم منهجا متميزا في التطرق إلى القضايا اللغوية العربية، واستطاعوا أن يرتقوا بالدّرس اللساني العربي، وبفضل جهود هؤلاء اللسانيين العرب أصبحت اللسانيات العربية «واقعا ملموسا استطاع أن يتواصل مع الآخر تواملا مفيدا، كشف من خلاله عن إمكانية توظيف الأنظار اللسانية المعاصرة في الفكر الغربي في وصف قضايا اللغة العربية وتحليلها وتفسيرها، ولا أحسب أنّ من سيكتب في العصر الحاضر من الغربيين، من مؤرخي التدوين الألسني، عن تأريخ الدّراسات اللسانية العربية سيغفل هذه الحقيقة أو يحاول إهمالها.» (٢) بل يجب أن يعترف هؤلاء المؤرخون لها بإسهاماتها في حقل اللسانيات، وأن لا يغفل أيضا عن هويتها العربية الأصيلة.

ومن هنا فقد ارتأينا أن نقوم بعرض جهود تمام حسّان، أحد هؤلاء الأعلام الذين ساهموا في تقديم المناهج اللسانية وتعريفها للقارئ العربي، ثم طبّقها على اللغة العربية من خلال إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفقا لأحد هذه المناهج، وهو المنهج الوصفي، فتشكل له نتاج لسانيّ طبع فكره حتى إن بعض الدّارسين يعدّون ما قدمه « أهم تجربة مشرقية من حيث المنهج وكمال الرؤية ووضوح الهدف.» (٣)

١ - مقدمة معجم فيشر، ص: 3. نقلا عن حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ج١، ١٩٥٦م، ص١.

٢ - عبد الرحمن بن حسن العارف: واقع البحث اللساني الحديث واتجاهاته، ضمن كتاب اللغة العربية والنظريات اللسانية الحاصلة والفاق، ص: ٣٧.

٣ - نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إريد، ط٢٠٠٧، م١، ص: ٢١٩.

إنّ الجهود اللّسانية العربيّة في مجملها كانت معتمدة على حصيلة احتكاك أصحابها برواد المدارس الغربيّة في أوروبا وأمريكا، وذلك من النّاحيتين النّظرية والمنهجية، فإذا تتبّعنا ما قدمه تَمَام حَسَان من آراء وإسهامات في حقل الدّراسات اللّغويّة العربيّة، فإنّنا لا نجدُه بدعا عن غيره من اللّسانيين العرب، بل هو في أغلب بحوثه وفيّ للمنهج الوصفي، فهو يصرّح بذلك بنفسه، إذ بنى جُلّ أعماله وفق هذا المنهج. وقد أشار إلى ذلك في تقديمه لاثنتين من مؤلفاته، وهما "مناهج البحث في اللّغة" و"اللّغة العربيّة معناها ومبناها"؛ فقد قال في الأول: «ولكنني لا أستطيع أن أعط حق النّظرية التي بنيت عليها هذه الدّراسة وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، فهيكلا غربي وتطبيقها على اللّغة العربيّة هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب.» ويشير إلى أنّ الغاية التي من أجلها جاء الكتاب الثّاني هو «أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على الثّراث اللّغوي العربي كلّهُ منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة. وهذا التّطبيق الجديد للنّظرية الوصفية في هذا الكتاب يعتبر (حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التّواضع) أجراً محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر.»^(١)

وهذا ما يرسم المنهج العام الذي اعتمده تَمَام حَسَان في مختلف الجهود اللّغوية التي استحدثها في حقل الدّراسات اللّغوية العربيّة، ففلسفته اللّغوية مبنية على المنهج الوصفي.

إنّ الجهود اللّغوية التي بناها تَمَام حَسَان عقود من البحث والتقصي في قضايا اللّغة العربيّة القديمة منها والحديثة، جعلته يتبنى منهجا علميا قائما على مناقشة الكثير من القضايا اللّغوية، متفقا مع بعضها حيناً وناقدا للبعض الآخر أحيانا. وكانت تعتبر النّظرية اللّغوية عند تَمَام حَسَان تلك النّقافة المزدوجة التي كان اكتسبها من خلال البعثة العلمية التي استفاد منها، فقد نهل من النّقافة العربيّة الكثير، كما استطاع، من جهة أخرى، أن يحتك بالمناهج الغربيّة الحديثة في دراسة اللّغة، من خلال تتلمذه على يد "فيرث Firth" رائد المدرسة السياقية الإنجليزية، ودليل تأثره العميق بهذه المدرسة اعتباره النّحو العربي في مجمله «شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كلّ

^١ - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط ١٩٩٨، ص: ١٠.

علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التأخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق. والقرائن المعنوية في النموذج النحوي هي قرينة الإسناد (ولها صور) وقرينة التخصيص (ولها صور أيضا) وكذلك النسبة (ولها صورها) والتبعية (ولها صورها) والمخالفة (ولها صورها).^(١)

كل ذلك جعل آراء تمام حسان اللغوية ترنو إلى تقديم قراءة لسانية للغة العربية وتستجيب لروح العصر، وتحدد هويتها العربية المعاصرة، فالمنتبج للآراء اللغوية لتتمام حسان يلحظ إمامه بالتراث العربي، فقد ضمن مؤلفاته ومقالاته تصوره للكيفية التي يجب أن تُدرس بها اللغة العربية والآليات المنهجية التي تجعل هذا التناول للغة العربية علميا. وكان أول معالم مشروعه اللغوي تطبيق المناهج الغربية في دراسة الصوتيات على بعض اللهجات العربية، فنال الماجستير من جامعة لندن عن دراسته الصوتية للهجة مدينة الكرنك بمسقط رأسه (محافظة قنا)، كما نال الدكتوراه من الجامعة نفسها في دراسة صوتية أيضا للهجة مدينة عدن باليمن.^(٢)

من خلال هذا التكوين العلمي المزدوج لتتمام حسان، تتحدد معالم النظرية اللغوية التي نادى إليها، وحاول تطبيقها على الدرس اللساني العربي الحديث، وتتمثل في تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية، من خلال المنهج الوصفي التقريري وكذا نظرية فيرث السياقية، ونعني بالنظرية اللغوية الحديثة هنا، الإطار العام والتحليلي للبنوية الوصفية التي سيطرت على الفكر اللغوي إلى ما قبل ظهور نظرية تشومسكي في رأي بعض المؤرخين، كما نعني بها أيضا بصورة خاصة، نظرية فيرث اللغوية، أو بعبارة أخرى، أن النظرية التي طبقها تمام حسان في دراسته للغة العربية هي نظرية فيرث.^(٣)

^١ - تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية،

تونس، ١٩٩٩، ١٣ ديسمبر، ١٩٧٨م، ص: ١٥٩.

^٢ - ينظر: حسام تمام، تمام حسان مجدد العربية، مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧م.

^٣ - ينظر: حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنوي، دار المعارف الجامعية، مصر، ١٩٩٦م، ص ٢١٩.

وهكذا تتحدّد الأطر العامّة للنّظريّة اللّغويّة عند تمام حسّان، و هذا ما جعله يضع عمله بصفة عامّة وكتاب "اللّغة العربيّة معناها ومبناها" بصفة خاصّة (أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغويّة تجري بعد سيبويه وعبد القاهر).

3. موقف تمام حسّان من التّراث اللّغوي العربي:

تتحدّد خصائص البحث اللّغوي عند تمام حسّان من خلال مناقشة مواقفه تجاه التّراث اللّغوي العربي، فالمنتبع لأعماله يلتبس عددا من الملاحظات التي تتمّ عن اطلاع دقيق ومتفحص لما جادت به قريحة العلماء الأوائل للعربيّة، ولكنّه لم يرض أن يقدم تلك الملاحظات في ثوب تقليدي، بل حاول أن يمزج بين التّراث والمعاصرة من خلال مشروع يهدف إلى تقديم قراءة جديدة للتّراث اللّغوي العربي وفق المنهج الوصفي، فهو يقرّ أنّ مشروعه « نظرية جاءت نتيجة تجارب قرون في الغرب، فهيكلا غربي وتطبيقها في اللّغة العربيّة هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب ».^(١)

بنى تمام حسّان دراسته للقضايا اللّغويّة العربيّة على المزوجة بين التّراث والمعاصرة، فبهذا الجهد المبذول نجح أن يقدم قراءة ثانية للنّحو العربي « عبر تأليف أربعة: اثتان منها عرض فيهما أصول اللّسانيات الوصفيّة، وهما " مناهج البحث في اللّغة " و " اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة " ، أما الاثنان الآخران فقد خصّصهما لدراسة التّراث وتقويمه، وهما " اللّغة العربيّة معناها ومبناها " و " الأصول " ، لكنّ هذا التّقسيم لا يعني أنّ تقويم التّراث غائب عن كتابيه الأولين، بل كان حاضرًا في كتابه الأول حضور الهاجس الملح، وهو الذي قدّمه مدخلا لهذا العلم. »^(٢)

قبل البدء في عرض موقف تمام حسّان من التّراث اللّغوي العربي، لا بد من الإشارة إلى تحديده لهذا التّراث، فهو في أغلب بحوثه المتعلقة بنقد التّراث العربي يركّز على النّحو البصري بدءا بجهود الخليل وسيبويه، ثم من سار في نهجهما من النّحاة العرب.

أ- بنية النّحو العربي:

^١ - تمام حسّان: مناهج البحث في اللّغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص: ١٧.

^٢ - خالد خليل هادي، مؤيد آل صوينت: تمام حسّان في معيار النّقد اللّساني، ص: ٢٥٢.

يرجع اهتمام تمام حسان بالنحو البصري إلى أن علماء البصرة هم من اخترعوا هذا العلم، إضافة إلى تناولها الصّارم للقضايا النحويّة، «فقد سبقت البصرة إلى حقل النحو باتجاهاتها العقلية الواضحة فصبغت هذه الصناعة بصبغتها، فلما جاء الكوفيون وجدوا البناء قائما مكتملا والطريق معبدة مطروقة، فلم يكن أمامهم إلا أن يختاروا بين أمرين اثنين: أن يقبلوا النحو البصري كما تلقوه عن شيوخ البصرة، ويقفوا من البصريين موقف التلاميذ متتاسين الفارق بين النزعة البصريّة العقلية والنزعة الكوفية التقلية، أو أن يكونوا أمناء على طابعهم الثقلي فيخالفوا على البصريين في بعض الأصول التي يابأها هذا الطابع، وفي الفروع والمسائل المبنية على هذه الأصول. ولقد اختار الكوفيون طريق الأصالة والخلاف.»^(١)

و على هذا الاعتبار، فإننا نجد تمام حسان يلاحظ أنّ النحو العربي من خلال التّموذج البصري مبني على مجموعة من المقولات، هي بمثابة أسس منهجية، تتلخّص في النقاط الآتية:^(٢)

١. الكلمة وحدة الجملة ومن ثم كانت النّواة التي دارت حولها الدّراسات الصّرفيّة والمعجميّة، وذلك لاعتبارات كثيرة، أهمّها أنّ التّغيرات الصّرفيّة من إبدال وإعلال ونقل وقلب إنما تصيب الكلمة دون غيرها، كما أنها تعرّف على أنها لفظ مفرد دال على معنى مفرد، أضف إلى ذلك أن ظاهرة الإعراب ارتبطت بالكلمة، فالإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة، ومن هنا ينسب إلى الكلمة استقلال في بنية اللّغة لا يمكن نسبته إلى الصّوت أو المتلازمين، وهي فوق ذلك يمكن تقديمها أو تأخيرها، ويمكن أن تضام الكلمات الأخرى أو تنفصل عنها، ومن ثمّ تكسب وجودها التّظري باعتبارها وحدة تحليليّة.

^١ - تمام حسان: الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ٣٧.

^٢ - ينظر: تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص: ١٤٧، ١٥٤.

٢. تقسيم الكلم إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف؛ وهو تقسيم بحسب اعتباري المعنى والمبنى، وقد لاحظ تمام حسان أن هذا التقسيم، مع أنه يأخذ بعين الاعتبار عنصرَي المعنى والمبنى معاً، إلا أنه قاصر عند التّطبيق، فكل قسم منها يشتمل - حسبه - على أقسام من الكلم بينها اختلاف جوهري، يجعلها في الحقيقة لا تتدرج معاً في قسم واحد.

٣. حين لاحظ النّحاة عدم اطّراد صور الاستعمال أدركوا أن محاولة بناء القواعد على أمور غير مطردة أمر غير ممكن، وكان الحلّ بالنّسبة إليهم أن وضعوا مفهوم أصل الوضع وهو من تجريدات النّحاة، وعليه بنو النّحو، فللكلمة أصل وضع يعدل عنه إما بالإعلال أو الإبدال أو القلب أو الحذف أو الزّيادة. كما أنّ للجملة أصل وضع قوامه الإظهار والذكر والاتصال والترتبة يعدل عنه بالإضمار أو الحذف أو الفصل أو تقديم وتأخير، فهذا الاختيار في التّعامل مع القضايا اللّغويّة من قبل النّحاة، جعلهم ينحرفون عن مبدأ أساسي في اللّسانيات الحديثة، وخاصة المنهج الوصفي الذي تبناه تمام حسان، وهو التّحديد الزّمني أو ما يعرف بالآنية، فهذا الثّبات الذي جعلوه لأصل الوضع بنى النّحاة قواعد مطردة صارمة بمعزل عن تطوّر اللّغة من عهد جاهلي إلى آخر إسلامي، كما جانبوا أيضاً التّحديد المكاني، واعتبار الاختلافات التي من المفروض أن تكون بين لهجات اللّغة الواحدة، فكان اعتماد أصل الوضع سبباً في إغفال هذا الاختلاف بين اللّهجات فوضعت قواعد لاستعمال اللّغة من الحجاز إلى نجد، وأكثر من ذلك فقد بنو قواعد بتجريد الأصول وتسليطها على المسموع فلما اختلف المسموع عن القاعدة قام بعض النّحاة بطعن العرب وتغليظهم.

٤. إن من الأسس المنهجية التي بُني عليها النّحو العربي جعل النّحاة أصلاً للقاعدة يلتزم في العادة، ولكن يجوز العدول عنه إلى قواعد فرعية، فالأصل مثلاً في المبتدأ التّعريف وفي الخبر التّنكير، لكن يمكن العدول عنها إلى قاعدة فرعية مفادها إذا أفادت النّكرة فلا يمنع الابتداء بها.

٥. بني النّحو العربي على قرينة واحدة من قرائن المعنى النّحوي، وهي العلامة الإعرابية، وكان نتيجة ذلك اعتمادهم على مفهوم "العامل النّحوي" الذي عدّ دعامة أساسية في النّحو العربي، وقسموه إلى عوامل لفظية ومعنوية، وقسموا الإعراب إلى

ظاهر وتقديرى ومحلي، وكان هذا الاعتبار بدوره خاضعا للقاعدة الأصلية التي قد يعدل عنها إلى قاعدة فرعية؛ فالأصل في الإعراب أن يكون بالحركات وقد يعدل عنه إلى الإعراب بالحروف، والأصل في الإعراب أيضا أن يكون ظاهرا ويكون العدول عنه بالتقدير. (١)

من خلال هذا البناء الذي شُيّد به صرح الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، يبدأ تمام حسان مشروع الذي يحسبه يقف في مقابل النموذج البصري في حقل الدراسات النحوية العربية من حيث المنهج وكذلك من حيث الموضوعات (٢)، وأكثر من ذلك فإنه يجعل نفسه في مقام من يصوّب البحث اللّغوي، فقد عدّ جهوده بمثابة العلاج لبعض ما أصاب التّناول اللّغوي العربي القديم من سقم «لهذا فكرت في أمر الدّراسات العربيّة القديمة، من حيث المنهج لا من حيث النّفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدّراسات اللّغويّة الحديثة، فاستطعت أن أحدد لنفسي موطن الداء، وحاولت جهد الطاقة أن أشخصه، أملا أن يسهل علاجه بعد ذلك على من يريدون هذا العلاج». (٣)

يتفق تمام حسان مع اللّسانيين العرب المهتمين بقضايا التّراث العربي، فقد زعم عدد غير قليل من هؤلاء أنهم بصدد تقديم نموذج لدراسة العربيّة في إطار ما عُرف بـ "جهود تيسير النّحو العربي"، وكل عالم لغوي اعتمد في ذلك مرجعية نظريّة مستمدة من المناهج الغربيّة وحاول من خلال تطبيقها على اللّغة العربيّة أن يقمّ نموذجا يصلح -حسبهم- أن يساير العصر الحديث.

ويتلخص مسعى تمام حسان التّيسيري من خلال ملاحظات قدمها على الطّريقة التي عرض بها النّحو العربي «ولو أنّ النّحو العربي عرض على المبتدئين من طلابه في صورة الأصول دون المسائل لبدا هينا يسيرا مختصرا مستساغا. لكنّ كتب النّحو ورثت عن القدماء الحرص على عرض المسائل جنبا إلى جنب مع الأصول، فإذا واجهها

١ - ينظر: تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص: ١٤٦.

٢ - المرجع السّابق، ص: ١٤٦.

٣ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م، ص: ١١.

المبتدئ لم يعرف أيّها الأصل وأيّها الفرع فتختلط عليه الأمور ويصعب عليه تحصيل النّحو»^(١).

ب- النّحو العربي بين المعياريّة والوصفيّة:

تعد قضية معياريّة اللّغة أو وصفيّتها أهم القضايا التي شغلت تمام حسان، فمعظم البحوث التي قدّمها ناقش فيها هذه القضية وتأثيرها على النّحو العربي قديماً، وهو يعتبر المعياريّة الدّاء الذي أصاب النّحو العربي ويشتكى منه معظم الدّارسين له، وجعلت منه ميداناً يصعب اقتحامه حتى في غير القضايا النّحويّة، وإن حدث ذلك كان التّعامل مع القضايا على الوجه الذي يرضيه البحث العلمي؛ لأنّ ذلك سيرتبط بالمسائل الفرعيّة لا الأصول التي يجب على الدّارس أن يهتمّ بها كونها - كما سبقت الإشارة إليه- تجعل تلقّي الدّرس اللّغوي العربي جلّه والنّحو على وجه الخصوص خالياً من الشّوائب التي تشوّهه.

من هنا جاءت محاولة تمام حسان توجيه الدّرس اللّغوي العربي إلى الوصفيّة وفيّاً في ذلك للمناهج الغربيّة التي تكوّن في كنفها، فقد «اتجهت نفسي إلى دراسة المعياريّة والوصفيّة حين رأيت النّاس في معظمهم يشكون داءً في النّحو العربي لا يستطيعون تشخيصه؛ فإذا أرادوا تشخيص هذا الدّاء انصرفوا دون قصد إلى سرد أعراضه؛ فتكلموا في جزئيات النّحو، لا في صلب المنهج. وشتان بين من ينقد أجزاء المادة وبين من يريد علاج الفلسفة التي انبنت عليها دراستها»^(٢).

ت- القاعدة:

ترتبط المعياريّة بمبدأ الصواب والخطأ، ويرى تمام حسان أنّ هذين العنصرين « زاويتا نظر إحداهما ترتبط بصناعة النّحو، والأخرى تتعلق بأسلوب الاستعمال اللّغوي أي

١ - تمام حسان، الأصول، ص: ١٤٧.

٢ - تمام حسان: اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، ص ١١.

أنّ إحداهما فنيّة والثانية اجتماعيّة. فأماً من وجهة النّظر الأسلوبية الاجتماعية فالصّواب ما وافق الشائع في الاستعمال والخطأ ما ندّ عنه.»^(١)

وعليه ترتبط القاعدة بالمعيارية فهي العماد الأساسي فيها، وينظر تمام حسان إلى هذا المفهوم بطريقته الخاصّة كما عهدناه في تقديم المفاهيم التي يعطيها الطابع الخاص الذي يتجاوب مع مشروعه الذي ارتضاه لمنهج دراسته للغة العربيّة المبنية على نقد النّحو العربي، فالقاعدة - حسبه - «تلخيص لتقلب العلاقات بين عناصر السّياق وما يصاحب هذا التقلب من تغيّر في مباني اللّغة. ومن ثم تكون القاعدة وصفا لهذا التقلب، ولكنّها ليست قانونا يسنّه النّحوي بما أعطاه العلم من سلطة يشرّع بها للغة، ولا معيارا يحدده هذا النّحوي ليلزم أصحاب اللغة ومستعمليها مهما كان هذا المعيار منسجما مع تقلب العلاقات السياقية.»^(٢)

لكن الدّراسات المعيارية إذ تضع القواعد لا تنتظر إليها بهذا المفهوم، ولا تتعامل معها هذا التعامل والحذر الدقيق الذي ينبغي أن تنتهجه كل دراسة علمية، لكنها تقف عندها وتحاول فرضها وتكييف كل البحوث حسبها، ممّا يجعل مجال البحث متحجرا عاجزا عن الإبداع والتّوسع في عرض مختلف القضايا. وتعضم الخطورة إذا ارتبط ذلك بالبحوث اللّغويّة؛ لأنّها بذلك قد نقصي العديد من الاستعمالات التي قد تصوّر لنا وقائع منه وظواهر لغويّة تعكس ثراءً حضاريًا يمكن الاستفادة منه إذا نظرنا إلى اللّغة نظرة وصفية، فالدكتور تمام حسان يعقد مقارنة ذكيّة وفاحصة بين نظرة كل من المعيارية والوصفية للغة، ويرسم الحدود الفاصلة بين المنهجين وتأثير كل منهما على البحث اللّغوي « فالمعيارية إذ تصل إلى القاعدة تقف عندها وتلزمها وتبطل بها كل بحث لاحق لها

^١ - تمام حسان: درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٥٦، ماي ١٩٧٥ م، ص: ٥٥.

^٢ - المرجع السابق، ص: ٥٥.

يؤدي إلى التّعديل أو التّحويل؛ فالقاعدة لدى المعياريّة غاية في نفسها وقانون ذو سلطة توجب وتجزئ وتمنع.»^(١)

ومن هنا سمحت الصّبغة المعياريّة لمنهج النّحو أن « تتحجر دراسته على صورتها بعد أن اكتملت لها القواعد وظهر قول بعضهم: إنّ النّحو نضج حتى احترق. وتوقف البحث في النّحو ليدور المتأخرون من طلابه في حلقة مفرغة ليس لهم فيها نشاط إلا التّعليق على أقوال المتقدمين.»^(٢) أما الوصفيّة فإنها تنظر إلى اللّغة على أنها «جهاز متحرك يخضع للوصف في إحدى مراحلها لكنّه يتطوّر ويتحرك مع الزّمن، فيحتاج بعد تطوره إلى تجدد وصفه في حالته الجديدة. وبهذا لا يسمح المنهج الوصفي للنّحو أن يتجمد في مكانه محاولاً أن يوقف تطور اللّغة ويجمدها على حالها، وهيهات فإنّ القوانين الاجتماعيّة أقوى من قواعد النّحو ومن أمانى رجال النّحو.»^(٣)

لا ينبغي، ونحن نستعرض هذا التحديد للبحث اللغوي - من وجهة نظر تمام حسان - وتفضيله للمنهج الوصفي، الذي يجعل ديناميكية البحث، على المعياريّة، التي تجعل البحث اللغوي متحجراً، أن نفهم أنه يلغي القاعدة المعياريّة تماماً في تناول النحو العربي بل إنه يجعل المعياريّة أساسية في بعض المواقف، خاصة عندما يتعلّق الأمر بتعليم النحو، فمهمة معلّم النحو التمسك بمبدأ (قل، ولا تقل)، وتمام حسان يفصل بين عمل النحوي وعمل معلّم النّحو؛ فعلى النّحوي أن يكون وصفيّاً، في حين يتوجّب على معلّم النّحو أن يكون معيارياً، يقول في هذا الشأن: « ننكر إذاً أن تكون القاعدة معياراً في يد النّحوي، وإنّ وجب لها أن تكون معياراً في يد معلّم النّحو، معنى هذا أنّه يُطلب إلى النّحوي أن يقول: العرب تقول كذا، وتقدّم هذا على ذلك، وترفع هذا وتنصب ذلك إلخ، ولا يقبل إلا من المعلّم أن يقول: يجب كذا ويجوز كذا ويمتنع كذا (...)» فالباحث يستنبط

١ - تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص: ١٣.

٢ - تمام حسان: اجتهادات لغوية، ص ١٤.

٣ - تمام حسان: اجتهادات لغوية، ص: ١٣ - ١٤.

القاعدة بالمنهج العلمي من مادة الاستعمال (المسموع) والمعلم يفرضها بالمنهج التعلّيمي على هذا الاستعمال نفسه.^(١)

مفهوم القاعدة بهذا التّحديد تتجاذبه كل من المعيارية والوصفية، فنصف أيّ جهد لغوي بالمعيارية إذا كانت القاعدة فيه غاية - وفي آن واحد- منطلقا للحكم على الظواهر اللغوية التي يدرسها، وأداة للطّعن كلما خرجت الظاهرة عن مفاد القاعدة وشذت عنه، فهي مقياس لتحديد درجات الصّواب والخطأ. أمّا التّحديد في الوصفية فيكون بعد الملاحظة والاستقراء والتّقسيم، فيعبر عن الظواهر التي أثبتت الملاحظة أطّرادها بعبارة مختصرة تلخص تجربة الباحث مع الظاهرة اللغوية المدروسة ومن ذلك: كل اسم يقع مسندا إليه يكون مرفوعا.

وينتهي تمام حسان من تفرّيقه بين القاعدة من وجهة النّظر المعيارية والوصفية بتحديد أمور يجب على الباحث مراعاتها عند التّحديد، تتلخص في النقاط الآتية:^(٢)

١. أن القاعدة وصف لسلوك عملي معين في تركيب اللّغة، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطّردا حتى يعبر عنه بالقاعدة.

٢. أن القاعدة لهذا السّبب جزء من المنهج لا جزء من اللّغة.

٣. أن تكون القاعدة مختصرة قدر الطّاقة، فإذا طالت فقدت عنصرا مهما من عناصر كفايتها وفائدتها العلمية.

٤. وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء، فمن الضّروري إيراد الشّواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سندا للقواعد وإيضاحا لها ويحسن أن تكون هذه الشّواهد والأمثلة كثيرة إلى حد ما^(٣).

١ - تمام حسان: درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب، ص: ٥٥.

٢ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: ١٥٩، ١٥٨.

٣ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: ١٥٩.

ث - السّماع:

لاحظ تمام حسّان أن النّحاة العرب قد تعاملوا مع المادة المسموعة بطريقة تجعلها لا تتماشى ومقتضيات مناهج البحث اللّغوي الحديث؛ حيث إن أي بحث لغوي يستوجب توفر شرطين منهجيين هما:

١. أن يتناول لهجة واحدة من لغة ما، فلا يتناول اللّغة كلّها مع اختلاف لهجاتها.

٢. أن يتخصّص في مرحلة زمنيّة واحدة من مراحل اللّهجة. (١)

لكنّ النّحاة العرب عندما أرادوا التّعامل مع المادة المسموعة، ومن أجل ضبط عملهم، عمدوا إلى ثلاثة أسس جعلوها ضوابط للتّعامل مع المسموع، وأساساً للتّشريع اللّغوي، ووضع النّحو متأخر مقارنة مع وجود اللّغة، لذلك كان لزاماً على النّحاة، وهم يستقون القواعد من اللّغة الموجودة سلفاً، أن يتخيروا منها ما يتفق الكل على صلاحيته مصدراً يعكس الوجه الأفضح منها، والذي تطرّد فيه هذه القواعد بحيث يمكن الرّجوع إليها للتحقق منها.

وأوّل هذه الأسس التي راعاها النّحاة العرب في تعاملهم مع المسموع من المادة اللّغويّة، كان الانتقاء الاجتماعي؛ وهو اختيار نوع من اللّغة يتعامل معها وتكون أساساً للاستشهاد، ومن هنا كان اختيار اللّغة الأدبيّة على حساب اللّغة المنطوقة، أما الأساس الثاني فهو الانتقاء المكاني، ونعني به انتقاء قبائل دون غيرها يحتج بلغتها، فلاحظ تمام حسّان أن النّحاة العرب اختاروا بعض القبائل التي تقع في وسط الجزيرة العربيّة مثل قيس، وتميم، وأسد، و طيء، وهذيل، كما جاء في قول السيوطي (٢)، وأنهم قد تجاوزوا بعض قبائل الفصاحة ولم يذكروها مثل: ثقيف، وقد أورد رأياً في تصنيف قبائل الفصاحة ينسب إلى كلّ من أبي عمرو بن العلاء وابن عباس، فبعضهم « ينسبون إلى أبي عمرو بن العلاء قوله: (أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم)، فأما عليا هوازن فهي التي كان ابن عباس رضي الله عنه يسميها (العجز من هوازن) و إذا عرفنا أن هذه القبائل

١- تمام حسّان: اجتهادات لغوية، ص: ١٦.

٢ - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النّحو، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروتية، دمشق، ط ٢

٢٠٠٦م، ص: ٤٧.

المنسوبة إلى هوازن هي سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، و ثقيف، أدركنا أن ابن عباس وأبا عمرو بن العلاء لم يتجاوزا الحقيقة، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم رُبي في حجر حليلة السّعدية (من سعد بن بكر)، وجعل ذلك مدعاة للفخر بالفصاحة^(١)، وهنا يظهر جليا ذكر قبائل من مثل ثقيف التي لم يجعلها النّحاة من قبائل الفصاحة ممّا تؤخذ منها المادّة المسموعة، وقد أرجع ذلك لمجاورتها الطائف وهي حاضرة، والمعلوم أن النّحاة لم يأخذوا من الحضرة، كما لم يأخذوا عن القبائل المجاورة لتلك الحواضر.

أما الأساس الثالث، فهو الانتقاء الزّمني، وقد سمّى النّحاة المجال الزّمني المعتمد في الاستشهاد بكلام العرب "عصر الفصاحة"، أو "عصر الاستشهاد"، وهذه الفترة الزّمنيّة تمتد من أول ما وصلهم من الشّعر الجاهلي حتى نهاية القرن الثّاني للهجرة، وفي هذا التّحديد لم يراعوا الفروق بين خصائص الشّعر الجاهلي ونظيره في صدر الإسلام وتجاوزوا أيضا التّطور اللّغوي الذي حصل بالضرورة في اللّغة على امتداد تلك الفترة الزّمنيّة الطويلة، وهذا التّطور لا يمكن أن يغفله أي باحث في اللّغة وقد سجله مؤرخو الأدب.

يؤكد تمام حسان أنّ اعتماد النّحاة على هذه الأسس الثلاثة قد أثار سلبا في وضع النّحو العربي، إلاّ أنّه قدّم تفسيرات وتبريرات تجعلنا لا ننتقص من عمل هؤلاء النّحاة، وذلك لعدة اعتبارات أهمّها:

١. لو أنّ النّحاة استخرجوا النّحو من لغة التخاطب - وهو ما يقتضيه البحث اللّغوي - بدل اللّغة الأدبيّة لما وصلوا إلى النتائج التي يريدونها، وسعوا إلى تحقيقها، ولعلّ أهمّها المحافظة على النّص القرآني وحمايته من ظاهرة اللّحن.
٢. المنهج الذي يناقش به عمل النّحاة لم يكن موجودا في زمانهم.
٣. أنّ لغة التّخاطب كانت أكثر اختلافا وتشعبا على ألسنة العرب من اللّغة الأدبيّة ممّا جعل وضع قواعد النّحو للغة الأدبيّة ممكنا، ويستحيل ذلك مع لغة التّخاطب.

^١ - تمام حسان: الأصول، ص: ٨٦.

٤. أنّ اللّغة الأدبيّة كانت لغة القرآن ولغة الدولة، وبالتالي فالأولى الاهتمام بها وضبطها أكثر من لغة التّخاطب، لأنّها اللّغة التي يعرف بها العرب عند الأمم الأخرى.
٥. اللّغة التي درسها النّحاة قديماً كانت لغة واحدة لا تفسدها الاختلافات اللّهيّة إلا في حدود ضيقة، يشهد لذلك أنّ النّحو الذي وصلنا لا يبدو فيه التّفريق إلا قليلاً.
٦. أنّ الفارق الزّمني بين اللّغويين المحدثين والنّحاة جعل المحدثين يستفيدون من تجارب القرون السّابقة، وهو ما لم يتوقّر عند النّحاة، خاصّة عند من يعتقد بعدم اتصال النّحاة الأوائل بالحضارات الأخرى وأنّ النّحو العربي أصيل، ولعلّ هذا أهم معيار لتبرير بعض القصور الملاحظ على عمل النّحاة بل لدحضه تماماً^(١).

ج- القياس:

ربط تمام حسان القياس بالمتكلم، وجعله الأساس في مراعاة المعايير الاجتماعيّة عند استعمال اللّغة، وهو ما يسميه بالصّوغ القياسي؛ وهي «ظاهرة تبدأ عند الفرد في طفولته، وتبقى ما دام الفرد يستعمل من الصّيع ما لم يرد على لسانه من قبل فإذا كانت الصّيغة التي يستعملها قياسيّة في اللّغة كان على صواب؛ أي كان على وفاق مع المستوى الصّوابي الاجتماعي، ولكنّه إذا صاغ كلمته على قاعدة معيّنة، كان المرجع في اللّغة إلى السّماع الذي ورد بهذه الكلمة»^(٢).

وهذه النظرة التي يعدّ تمام حسان فيها القياس خاصية تميّز المتكلم، تتفق مع نظرة دوسوسير الذي يربط «القياس بالكلام (النشاط الفردي) لا باللّغة (الوجود الجمعي)» لأنه في بدايته يقوم به الفرد، ولكن إذا ما استقرّ الاستعمال على الصّورة الجديدة انتقلت إلى اللّغة، وأصبحت من مذخورها الجمعي، وليس ثمة تناقض بين هاتين السّمنتين، لأنّ كلّ سمة تختصّ بمرحلة محدّدة»^(٣).

١ - ينظر: تمام حسان: الأصول، ص: ٩٧، ١٠٣.

٢ - تمام حسان، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ص: ٣٩.

٣ - محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللّغة العربيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م، ص:

٤- آراء تمام حسان في القضايا الصوتية:

يعتبر تمام حسان النموذج الذي وضعه لإعادة وصف اللغة العربية يقف بإزاء النموذج البصري الذي يمثله كتاب سيبويه، لكن يتميز عنه من حيث الأسس المنهجية التي بُني عليها كل منهما والمواضيع التي عالجها، وحتى الغاية التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، ولعلّ أهم ما يفرق النموذجين، هو منطلق دراسة اللغة لدى كلّ منهما؛ فالنموذج البصري يتخذ الكلمة الوحدة التي منها تتطلق دراسة اللغة، والثّوة التي عليها بُني صرح النحو العربي، ذلك لأنّها: «بحكم تعريفها لفظ مفرد وبحكم دلالتها تدل على معنى مفرد، وهكذا يبدو أنّ فكرة الأفراد هي التي أعانت على بناء الجملة على الكلمات دون غيرها من وحدات التحليل. أضف إلى ذلك أنّها ذات صيغة مفردة وأنّ اللّواحق والزوائد تلتصق بها، وأنّ ظاهرة الإعراب في اللغة الفصحى ارتبطت بالكلمة، ثم أنّ الكلمة بعد ذلك يمكن تقديمها أو تأخيرها ويمكن أن تُضام الكلمات الأخرى أو تتفصل عنها وبذلك كلّه يتحقق وجودها النظري باعتبارها وحدة تحليلية.»^(١)

أما تمام حسان فإنما يعدّ الصّوت نواة الدّراسات اللّغويّة، واللّبنة الأولى فيها، ذلك أنّ اللّغات أول ما بدأت في صورتها السّميّة، ويظهر عموم هذا الفهم بالاطلاع على أقوال العلماء في أصل اللّغة، وعلى النّظريات التي جاؤوا بها في افتراض بدء اللّغات الإنسانيّة، إذ أنّ كل هذه النّظريات تتكلم عن اللّغة الأولى باعتبارها لغة سمعيّة.»^(٢)

ومن جهة أخرى، نجده يفرّق بين فرعين في دراسة الأصوات؛ علم الأصوات، وعلم التّشكيل الصّوتي، أو بين الفونيتيكس والفونولوجيا، وكان ذلك بعد أن لاحظ أنّ: «الأصوات حركات عضويّة نشأت عنها قيم صوتيّة في نشاط حركي ذو نتيجة سمعيّة يدرس كلاهما من النّاحية الطبيعيّة؛ وأما العلاقات فهي ليست حركات طبيعيّة ولا تشريحيّة خاصة بوظائف الأعضاء، ولكنها ارتباطات من نوع معين بين الأصوات المتخارجه في الورد في الموقع الواحد، إذا كانت من حرف واحد وغير المتخارجه إذا

^١ - تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص: ١٤٧-١٤٨.

^٢ - تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: 115.

كانت من حرفين أو حروف مختلفة. هذه الارتباطات أفكار مدركة لا أشياء ملموسة ووسائل للتّناول الدّراسي للغة لا أجزاء من سلسلة الأصوات في المجموعة الكلامية.»^(١) ثمّ فرّق بين هذين الفرعين من الدّراسة الصّوتية من خلال تميّز الكلام المنطوق عن المكتوب، فاعتماد الكلام المنطوق على المخارج، والصفات هو أساس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة، فبفضلها ولما بينها من مقابلات أو قيم خلافية كانت منطلقاً للسّعي إلى إنشاء نظام صوتي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المخارج وبين الصفات كالنّفخيم والنّزق والشّدّة والهمس، بخلاف الحركات الكتابية التي لا تتعدد فيها الأسس على هذا النّحو ولذلك افتقر النّظام الكتابي إلى التّركيب والتنوّع.

ويبرز في هذا السّياق الدّور الأساسي لظاهرتي النّبر والتّغيم في النّظام الصّوتي فبانتمائهما إلى الكلام المنطوق، جعلناه أدر على كشف ظلال المعنى ودقائقه أكثر من الكلام المكتوب، الذي لم يستطع تجسيد هاتين الظّاهرتين كتابياً بشكل دقيق.

وبذلك يكون الكلام المنطوق بتكوّنه من هذه الملامح التي لها أثر عميق في المعنى «مقدمة لا بد منها لدراسة الأنظمة (القواعد) اللّغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللّغة نفسها . وأصبح علم الأصوات تمهيداً بالملاحظة الحسية لإنشاء علم الصّوتيات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات بناءً على هذه الملاحظة الحسية»^(٢)

أ- الفونيتيكس:

يتناول هذا المستوى من الدّراسة، عند جمهور الدّارسين، الأصوات من حيث «وصف مخارج أصواتها وطرق النطق بها وصفاتها فيقال مثلاً إن الصّوت الفلاني من أصوات هذه الكلمة يخرج من المخرج الفلاني، وهو شديد أو رخو أو مركب أو متوسط وهو مهموس أو مجهور، وهو مطبق أو مغور أو مطلق. ويتم ذلك الوصف بعد ملاحظة ووصف.»^(٣)

^١ - تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص: ٦٥-٦٦.

^٢ - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 49.

^٣ - تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص: 25.

ففي استعراضه لجهود العرب في محاولتهم وصف الأصوات اللغوية العربية، أشاد **تمام حسّان** بدقة عملهم هذا، مع أنه تمّ لهم ذلك «دون أن يكون لهم من الوسائل الآلية التي يستخدمها المحدثون ما يستطيعون بواسطته توثيق نتائج مدركاتهم الحسية، ولقد بيّنا مخارج الأصوات وصفاتها واشتمل ذلك عند الكثيرين منهم على أصوات غير عربية شاعت في البيئة العربية في القرن الثاني الهجري». (١)

ومن باب عرض تلك الجهود، تطرق **تمام حسّان** إلى عرض ما قدمه سيبويه تحت عنوان "الإدغام"، فقد بيّن أنّ سيبويه كان واعياً بأسبعية دراسة الأصوات في دراسة اللغة وأنه مقدمة لا بد منها لدراسة أي نظام لغوي، وأنّ النظام الصوتي ضروري لدراسة النظام الصّرفي من حيث إنّه يمده بمعطيات تعدّ مقدمات إجرائية.

فعند تعرّضه لدراسة الأصوات عند سيبويه في الكتاب، من خلال باب (الإدغام) «كشف عن وجهة نظره هذه من جهة وقيّد دراسة الأصوات وضيق مجالها من جهة أخرى. وتأتي دعوى تضيق سيبويه لمجال دراسة الأصوات من أنّ الإدغام ليس جزءاً من النظام الصوتي وإنما هو ظاهرة موقعية سياقية ترتبط بمواقع محددة يلتقي في كل منها صوتان السّابق منهما ساكن والتّالي متحرك فإذا تحققت صفات خاصّة في الصّوتين جميعاً تحققت بذلك ظاهرة الإدغام كما فهمها سيبويه». (٢)

ومما أخذ **تمام حسّان** على منهج سيبويه في دراسة الإدغام، أنه قدّم له بدراسة الأصوات تحت العنوان نفسه، حيث إنه نظر إلى الصوت في معزل عن السّياق، تاركا سلوك الصّوت في السّياق إلى دراسة الإدغام نفسه. أضف إلى ذلك، أنه قد بنى وأصحابه منهجاً خاصاً في استنباط الحروف من الأصوات متعاكساً مع منهج المحدثين، وقد فسّر **تمام حسّان** ذلك أنّ سيبويه وأصحابه لمّا شرعوا في تحليل الأصوات العربية وجدوا بين أيديهم نظاماً صوتياً معروفاً، ومشهوراً، وكانت حروفه قد طوّعت للكتابة منذ زمن طويل حيث إنّ لكل حرف منها رمزاً كتابياً يدل على الحرف في عمومه، دون النّظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فكان منه أن ارتضى وأصحابه « هذا النّظام الصوتي

^١ - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٤٩.

^٢ - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٥٠.

المشهور واتخذوه نقطة ابتداء في دراستهم للأصوات العربيّة ومن هنا رأينا الأصوات العربيّة التي تحت كل حرف من هذا النّظام لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أو إخفاء أو إمالة وهلم جرا. ^(١)»

من هنا جعل سيبويه أصول الحروف العربيّة تسعة وعشرين حرفا، أضاف إليها ستة فروع أصلها من النّسعة والعشرين، قال عنها إنّها كثيرة وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، كما يضيف إليها ثمانية حروف أخرى غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيّته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار. أما مخارج الأصوات فقد أحصاها خمسة عشر مخرجا، وفيما يخص الصّفات، فقد قسّمها كما يأتي: ^(٢)

١. الشّدّة والرّخاوة وما بينهما واللّين والهوى.

٢. الجهر والهمس.

٣. النّفخيم والنّرقيق.

وجعل الشّداد أربعة أقسام:

أ. ما يمتع معه النّفس.

ب. المنحرف.

ت. الأنفي.

ث. المكرر.

يرى تمام حسّان استنادا إلى نتائج علم الأصوات الحديث أن مخارج الأصوات في اللّغة العربيّة الفصحى عشرة، هي: شفوي، شفوي أسناني، أسناني، أسناني لثوي لثوي، غاري، طبقي، لهوي، حلقي. وفي هذا الشأن، لاحظ أنّ سيبويه كغيره من النّحاة وهو إمامهم عندما تصدّوا لتحديد مخارج الأصوات، خلطوا فيها خلطا كبيرا، ومثال ذلك ما قام به الجزري الذي كان « يُفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها، حتى إذا عدّ سبعة عشر مخرجا وجدناه يسمى النّون مثلا مرة زلقية لأنها تخرج من زلقة اللّسان ومرة أخرى خيشومية لأنّها تنطق من تجويف الفم وهو الخيشوم، ومرة ثالثة يقول إنّها من طرف

^١ - المصدر السّابق، ص: ٥١.

^٢ - المصدر السّابق، ص: ٥١، ٥٨.

اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، فهو بهذا يعطي التّون مخرجا خاصا حيناً ويجمعها مع الرّاء واللام حيناً، ويضمها إلى الميم في مخرج حيناً آخر. « (١)

أما صفات الأصوات، فيمكن تحديدها من خلال عدة اعتبارات كما يلي (٢):

١. الطّريقة التي يتمّ بها النّطق في مخرج ما؛ وتعطينا الصّفات الثّالية: الشّدّة والرّخاوة والتّعطيش والاستمرار.

٢. حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية؛ وينتج عنها صفتا الجهر والهمس.

٣. تحرك مؤخر اللسان أو مقدمه تحركا ثانويا أثناء حدوث النّطق في موضع آخر، وينتج عنه صفات الإطباق والتّغوير والتّحليق.

وفيما يخصّ أصوات اللّغة العربيّة الفصحى، فإنّ لتّمّام حسّان نظرة خاصة لها تختلف تماما عما جاء به القدامى، ويبدو أنّ تجربته في دراسة لهجته الخاصة (لهجة الكرنك بمحافظة قنا)، ثمّ دراسة لهجة عدن قد ساعدته كثيرا في التّعرف على خصائص الأصوات في اللّغة العربيّة الفصحى؛ فنجد في كل بحث خاص بالنّظام الصّوتي في اللّغة العربيّة، يصرّ على التّفريق بين الصّوت والحرف، وهي من الحقائق الثّابتة في علم الأصوات الحديث؛ ولما كان ذلك كذلك، فإنه إذا عرفنا « أنّ حروف الهجاء الصّحيحة في العربيّة الفصحى ثمانية وعشرون، وأنّ حروف العلة ثلاثة، لكلّ منها كميتان، إحداهما قصيرة أو حركة، والثّانية طويلة أو لين. فمجموع الحروف في العربيّة الفصحى واحد وثلاثون حرفا بناءً على هذا الفهم. أما أصوات العربيّة الفصحى فأكثر من ذلك. » (٣)

ومما يعزّز الحكم على أنّ إعادة وصف اللّغة العربيّة عند تّمّام حسّان، هي تجربة لإعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي، وتسهيل المستعصي منه، ما قام به في ختام حديثه عن المستوى الصّوتي في شقه المتعلق بالفونيتيكس، عندما حاول شرح بعض المصطلحات التي استعملها سيوييه، عندما رأى أنّ « قراء سيوييه -وما يزالون- يجدون صعوبة في فهم مصطلحات سيوييه التي استعملها في تحليله للأصوات العربيّة إما لأنّهم

^١ - تّمّام حسّان: مناهج البحث في اللّغة، ص: ١١١.

^٢ - ينظر: المصدر السّابق، ص: ١١٢.

^٣ - تّمّام حسّان: مناهج البحث في اللّغة، ص: ١١٦.

لا يرون لهذه الاصطلاحات عنصر الاطراد في الدّلالة و إمّا لأنّهم يخلطون بين معناها المعجمي ومعناها الاصطلاحي وإمّا لأسباب أخرى، حتى ذهب بعضهم إلى أنّ سيبويه فهم النّحو والصرف فهما تاماً عن شيوخه ولكنه لم يفهم عنهم الأصوات ومن ثم لم يستطع أنّ ينقلها واضحة للنّاس «^(١). فأخذ على عاتقه مهمة تيسير بعض تلك المصطلحات، ثم ينتهي من ذلك بإشارات ميزت جهود سيبويه الصّوتية كما يأتي: (٢)

- الإطباق ضد الانفتاح.

- الحروف المطبقة هي ص، ض، ط، ظ.
- الحروف المنفتحة كل ما عدا ذلك ومنها خ، غ، ق.
- أنّ الإطباق يتم برفع اللّسان إلى الحنك الأعلى.
- أنّ الإطباق يحصر الصّوت (ومعناه الأثر الصوتي) بين اللّسان والحنك.
- أنّ اللّسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون لهذه الحروف "موضعان من اللسان" أحدهما موضع المخرج وهو طرف اللّسان وثانيهما موضع التّفخيم وهو مؤخر اللّسان المرتفع إلى الحنك الأعلى.
- التّفخيم يلزم الإطباق كما في: ص، ض، ط، ظ، ولكنه لا يتوقف عليه كما في: خ، غ، ق.

وينتهي بعد ذلك إلى وصف جهود سيبويه بأنّها "تتفق اتفاقاً تاماً مع وجهة النّظر الحديثة في العملية النطقية الحركية للتّفخيم"^(٣)، فيكون هذا الحكم اعترافاً منه بعبقريته وفهمه الدّقيق للنّظام الصّوتي في اللّغة العربيّة.

ب- الفونولوجيا:

يتحدّد التّشكيل الصّوتي، أو ما يسمّيه تمام حسّان "النّظام الصوتي" أو "علم الصّوتيات" بتبيان أن دراسة الأصوات هي: «ملاحظة الكلام ولا تعتبر دراسة للغة، وأنّها تقع خارج الدّراسات القاعدية بالمعنى الضيق واستنتاجه أنّ الكشف عن النّظام الصّوتي

^١ - تمام حسّان: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص: ٦٠.

^٢ - ينظر: المصدر السّابق، ص: ٦٣.

^٣ - ينظر: المصدر السّابق، ص: ٦٣.

للغة من اختصاص الباحث في علم الصوتيات لا الباحث في الأصوات»^(١)، وهو الرأي نفسه الذي « نادت به مدرسة براج حينما اعتبرت الدراسات الفونيتيكية أقرب إلى العلوم الطبيعية منها إلى العلوم اللغوية. »^(٢)

لكن هذا لا يعني أن علم الأصوات أو الفونيتيكس لا يرتبط باللّغة، بل إنّه مقدمة لا بد منها لدراسة النّظام اللّغوي، ما دامت أيّة دراسة لغويّة تقوم أولاً على ملاحظة أصوات تلك اللّغة، فالملاحظة عمليّة سابقة بالضرورة لعمليّة التّنظيم. وهذا ما جعل تمام حسان يقرر أن علم الصوتيات (الفونولوجيا) ينبني على دعامتين أساسيتين هما^(٣):

١. معطيات علم الأصوات، أي مجموعة الملاحظات المسجّلة، التي تقرّر أنّ اللّغة المدروسة تشتمل على عدد معيّن من الأصوات لكلّ منها وصفه العضوي والسّمعي.
٢. طائفة من المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج، والصفّات، والوظائف، وهذه المقابلات هي جهات الاختلاف بين صوت وصوت آخر، إما من حيث المخرج فقط، أو الصّفة فقط، أو هما معاً، وتسمى: "القيم الخلافيّة".

ومن هنا، يتّضح أنّ هذا الفصل الذي عقده تمام حسان بيّن هذه المستويات غير موجود أصلاً، وخاصة عند دراسة لغة ما، فهو تقسيم على المستوى النّظري دون التّطبيقي، وهو ما يراه جون دوبوا أيضاً، حين يلاحظ أنّ الفونولوجيا تختلف عن الفونيتيكس لكن من الصّعوبة بما كان أن يفصل بين هذين المجالين من الدّراسة^(٤).

^١ - ينظر: تمام حسان: اللّغة العربيّة ميناها ومعناها، ص: ٦٦.

^٢ - حلمي خليل، العربية وعلم اللّغة البنيوي، ص: ٢٢٨.

^٣ - ينظر: تمام حسان: اللّغة العربيّة ميناها ومعناها، ص: ٦٧.

^٤ - هذه ترجمة لمقطع من تعريف الفونولوجيا عند جون دوبوا، حيث يقول:

« Elle se distingue donc de la phonétique bien qu'il soit difficile de séparer ces deux domaines de recherche ». Jean DUBOIS et autres, le dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse dictionnaires, Paris, décembre 2012, p 362.

تعدّ الوظائف، والقيم الخلافيّة، ومعطيات علم الأصوات من أهم وسائل الكشف عن النّظام الصّوتي للغة. كما يتم الكشف عن هذا النظام « بواسطة العمل على تبويب العدد الكبير من الأصوات المسموعة الملاحظة المسجلة إلى أقسام بحسب مخارجها وصفاتها ولكن التّشابه أو التّخالف في المخرج أو الصّفة أو فيهما معا لا يصلح وحده أساسا لتحديد الحروف فقد يتفق الصوتان في كل شيء حتى يخفى على غير ذي الخبرة حين يسمعها أن يفرق بينهما، ومن هنا يصبح من الصّوري أن تدخل القيمة الخلافيّة الوظيفيّة في الطريقة التي تحدّد بها حروف النّظام الصّوتي بحسب الوظيفة وتستخدم هذه القيمة الخلافيّة في التّقسيم بواسطة النّظر في الوظيفة التي تتجلى في إمكان التّداخل في الموقع و التّخارج فيه بالنسبة لكلّ من الأصوات التي بين أيدينا والتي نريد أن نبوّها في صورة حروف». (١)

يوصلنا هذا العمل بالضرورة، إلى التّفريق بين الصّوت والحرف، حيث إن للصّوت عملا حركيّاً، وللحرف إدراكاً ذهنيّاً، والفرق من هذه الجهة بين «فالصّوت يُنطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النّطقي وما يصاحب هذا التّحريك من آثار سمعيّة ولكنّ الحرف لا يُنطق ولكن يُفهم في إطار نظام من الحروف يُسمى النّظام الصّوتي للغة». (٢)

يسعى عمل تمام حسّان في إعادة وصف اللّغة العربيّة، إلى إعادة الاعتبار للمعنى حين تتناول القضايا اللّغويّة، لذلك نلاحظه وهو يتطرق لباب الفنولوجيا الذي هو أساسا العلم الذي يهتم بوظائف الأصوات لا يغفل عن الاهتمام بهذا الجانب، حيث إنه عند إحلال حرف محل آخر، أو ما سماه "التّقابل الاستبدالي"، يسبب في تغيير معنى الكلمة، وبذلك يصبح يحمل "بُضعة" من تبعه المعنى الجديد، على حد تعبيره، فهذه «أول بُضعة من المعنى الوظيفي يمكن الكشف عنها في اللغة وهي وظيفة الحرف باعتباره مقابلاً استبدالياً أي باعتباره صالحاً للحلول محل واحد أو أكثر من الحروف الأخرى في النظام الصوتي نفسه». (٣)

١- تمام حسّان: اللّغة العربيّة مبناها ومعناها، ص: ٧٣.

٢- المصدر السّابق، ص: ٧٤.

٣- المصدر السّابق، ص: ٧٦.

ويمثل تمام حسان لذلك باستبداله حرفا مكان حروف معينة في كلمة ما، وملاحظة تغيير معنى الكلمة الجديدة مقارنة مع سابقتها؛ « فإذا نظرنا إلى الباء في (طاب) وجدنا أنها تدل على معنى معين هو صلاحيتها للحلول محل عدد من الحروف الأخرى وقد عددنا منها اللام ونضيف هنا الرّاء في (طار) والفاء في (طاف) والشين في (طاش) كما أن الطاء تدل على معنى معين هو أنها مقابل استبدالها للثاء في (تاب) و الثاء في (ثاب) والحاء في (خاب)، فمعناها أنها صالحة للحلول محل أي واحد من هذه الحروف جميعا وهذه البُضعة من المعنى التي تنسب إلى الحرف بضعة سلبية فمعنى الطاء أنها ليست تاء ولا ثاء ولا خاء ولا ذالا». (١)

هذا ويضاف إلى الاستبدال في حمل جرثومة المعنى -على حد تعبيره- ظاهرتي "الإضافة" و"الاستخراج"؛ فالأولى هي إضافة حرف معين إلى كلمة، فتنتج بذلك كلمة جديدة بمعنى مختلف عن الكلمة الأولى، ومثاله إضافة الميم إلى كلمة (قاعد) فتصير (مقاعد)، فيكون للميم معنى من حيث إنّها جلبت إلى الكلمة معنى جديدا. أمّا الثّانية فهي على العكس من الإضافة، استخراج حرف من كلمة للحصول على كلمة جديدة ذات معنى مختلف؛ فعند استخراج الميم من كلمة (مقاعد) تصير (قاعد). وبهذا « يمكن أن تدعي أنّ كل حرف من حروف الكلمة يحمل جرثومة من المعنى من جهتين الأولى إيجابية هي دلالة صوته على بيئته من الكلمة والثّانية سلبية هي كونه مقابلا استبداليا لعدد من الحروف الأخرى وهي الأهم ». (٢)

وصفوة القول، فإن تمام حسان يقسم النظام الصوتي للغة إلى حروف phonèmes بواسطة اعتبار القيم الخلفية، وهو مصطلح متصل بفكرتي الملامح المميزة، والتوزيع التقابلي، وبواسطة التقسيمات العضوية والصوتية، وهي حقل آخر من حقول القيم الخلفية، ومنه يصل إلى اعتبار أن القيم الخلفية من أهم مقومات النظام الصوتي في اللغة، وأنّ اللغة حريصة على مراعاتها من أجل وضوح المعنى.

١- المصدر السابق، ص: ٧٧.

٢- تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها، ص: ٧٧.

يعلّق حلمي خليل على ذلك بقوله : « وهنا نجد تحديداً جديداً للمستوى اللّغوي الذي يدرسه الكتاب، وكان من قبل اللّغة العربيّة الفصحى وفروع دراستها، أمّا النّظام الصّوتي فهو للفصحى المعاصرة»^(١)، أمّا محمد صلاح الدّين الشّريف فإنّه يؤاخذ عليه تلك المبالغة في تحميل الأصوات جزءاً من المعنى العام للكلمة، لأنّ معنى الكلمة تحمله من حيث إنّها تركيب من الحروف، ولا يمكن للحرف منفرداً أن يحمل على عاتقه معنى الكلمة فالكلمة عنده «رمز دلالي لا ينقسم إلا دلاليّاً، أمّا الحروف فمكوّنات للرّمز ليس لها شيء من الدلالة»^(٢). ويعلّل موقفه هذا بحقيقة لسانية لا يختلف حولها اثنان؛ حيث إنّنا : « لو أعطينا للحرف معنى و إن سلبنا لصار من التّناقض والوهم اعتقادنا في اعتباريّة العلامة اللّغويّة. والاعتباطيّة مبدأ أساسي في الألسنيّة. ولا شك أنّ تمام حسان يعرف هذا. ولكنّه يريد أن يرى المعنى في كل شيء. لقد كان يمكنه أن يكتفي بمصطلح سائد خاصة في المدرسة الوظيفيّة التي ينتسب إلى بعض فروعها وهي اعتبار الصوت ذا وظيفة تمييزيّة وفي هذا كفاية لمن أراد بيان صلة الصوت بالمعنى»^(٣).

خاتمة:

سعى البحث فيما تقدّم إلى عرض الجهود العربيّة فيما يخص الدّرس اللّساني، من خلال عرض تجربة للساني عربي، يشهد له كلّ ملّم بالدّرس اللّساني العربي بالتميّز ألا وهو تمام حسان، وفيما يلي عرض لأهمّ النّتائج الخاصّة بالجهود اللّغويّة له:

١. يسعى تمام حسان إلى وضع نظريّة لغويّة خاصة باللّغة العربيّة تستجيب للمتطلبات النظريّة والإجرائيّة للنّظريات العلميّة الحديثة الخاصّة باللّغة.
٢. المنتبج لجهود تمام حسان يلاحظ جليّاً إلمامه بالتّراث اللّغوي العربي، كما يلمس عنده روحاً نقديّة تجعله ينتخب من المواضيع اللّغويّة عند القدامى ما انفرد منه وتميّز بالعلميّة.

^١ - حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنوي، ص: 23٠.

^٢ - محمد صلاح الدّين الشّريف: النّظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان ((اللّغة العربيّة معناها ومبناها))، حوليات الجامعة التونسية، ع ١٧، ١٩٧٩م، ص: ٢٠٩.

^٣ - المرجع السّابق ص: ٢٠٩.

٣. كما يلمس الناظر في أعماله شدة إعجابه بما قدمه الرعيل الأول من علماء العربية، فهو يعد ما أنتجه خاصة الخليل بن أحمد وسيبويه، ومن عاصرهما وسار على منهجهما، من قبيل الابتكار العلمي العربي.
٤. يقرّ تمام حسّان بأصالة الفكر اللغوي العربي خاصة في القرون الثلاثة الأولى، كما يلح على أن الجهود النحوية التي ظهرت عند الرعيل الأول من النحاة العرب منذ أبي الأسود الدؤلي التي امتدت عند سيبويه وغيره ممن اتبعوا منهج الرعيل الأول كان علميا، ثم تحوّل إلى الصبغة التعليميّة بعد أن اختلطت أسنة العرب بالأسنة الموالي وضعت السليقة العربيّة، فاحتاج العرب إلى تعليم القواعد العلميّة لتقويم الأسنة.
٥. يصنّف تمام حسّان آراءه اللغوية بإزاء النظريات اللغوية العربيّة القديمة، التي اتّسمت بالابتكار والعلمية؛ حيث يجعل مشروع إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المنهج الوصفي أجراً محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية.
٦. ينطلق مشروع تمام حسّان في دراسة اللّغة العربيّة من إيمانه بضرورة إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المناهج الحديثة، خاصة المنهج الوصفي، وهو يتضمن إعادة وصف اللّغة العربيّة الفصحى بالاعتماد على هذا المنهج، فهذا المشروع مبني أساسا من نظرة نقدية للتراث اللغوي العربي.
٧. يرنو تمام حسّان من خلال إعادة قراءة التراث اللغوي العربي إلى الاهتمام أكثر بجانب المعنى، وجعل عنصر المعنى جنبا إلى جنب مع المبنى؛ فالدراسات اللغوية العربية القديمة حسبه قد فصلت بين الجانبين، وكانت أميل إلى المبنى.
٨. يرجع سعي تمام حسّان إلى التركيز على المعنى في المشروع اللغوي إلى تأثره بالنظرية السياقية التي عرف بها أستاذه فيرث.
٩. نتج عن الدّراسة النقدية التي قام بها تمام حسّان للتراث العربي نظرية قائمة على رفض العامل واقتراح البديل الذي يقوم مقامه.
١٠. ربط تمام حسّان بين الدّرس اللغوي الغربي و الدّرس اللغوي العربي، ليعطي تصورا جديدا للدرس العربي الحديث، وانطلاقا من هذا أعاد وصف أصوات اللغة العربية، وسعى إلى تأسيس وصف فونولوجي لأصوات العربية في وقت كان الدرس الصوتي العربي درسا فونيطيقيا في خصائصه العامة لا فونولوجيا .

١١. مرّت المحاولة الصّوتية لتتمام حسان بمرحلتين تتجسد المرحلة الأولى في كتاب "مناهج البحث في اللغة"، والمرحلة الثانية في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، حيث اهتم في الكتاب الأول بشرح علم الأصوات في ضوء المناهج العلميّة الحديثة، واهتم في الكتاب الثّاني بوضع نظام صوتي للغة العربية.
١٢. تميزت المرحلة الأولى ببروز مجموعة من المفاهيم قدمها تمام حسان في دراسته الصوتية و منها: القيمة الخلافية، الوظيفة، العلاقة، الفونيم، أمّا المرحلة الثانية فقد بدا فيها تمام حسان أكثر وعياً لمفاهيم الفونولوجيا ومصطلحاتها وتطبيقاتها على اللّغة العربيّة، و قدّم مفهومين جديدين هما : ثنائية التّداخل و التّخارج، مفهوم الاستبدال.

Arabic linguistics at Tamam Hassan between originality and modernity the phonological level is a model

Dr.Samira Abdel Malik

Dr.Nadia Sharf.Abstract:

Abstract

The scholars agreed to divide the language in to analytical levels, because it contains very complex aspects that require more than one method and more than means to decode its codes and analyze its contents, so hey assumed that it is divided into levels, each of which has general characteristics, through which it is possible to find the secrets of the content of this level . These levels work in harmony and complementarity, and the separation of some and their independence from others is only outwardly, because language is a single entity whose contents cannot be separated, as all linguistic elements interact together and collaborate in achieving linguistic purposes,and any division of language into levels is only a systematic division, and for each An element of it is a branch of the science of linguistics , and the most famous division know to linguists is four levels that from general structure of language, and these are:phonemic level, morphology level, grammar level,vocabulary level.